المُقَدّمَةُ

● الحمدُ للهِ الذي هَدانَا لفضيلَةِ حَمْدِه ، وَحَدانَا إلى تَمْجيدِهِ بمَجْده ، وأنزلَ الفُرْقانَ على عبدِهِ ، واختصَّهُ ببلاغِ رسالاتِهِ وعَهْدِه ، فَدَعَا بالحكمةِ والموعظةِ الحَسَنَةِ إلى سبيلِ ربِّهِ ، وأطْلَعَ الإيمانَ من مَطْلَعِهِ وأهَبَّهُ من مَهَبِّهِ .

● اللَّهُمَّ اجعَلْنا مِنْ أُمَّتِهِ ، واسْتَعْمِلْنا بسُنَّتِهِ ، واشغَلْ قلوبَنا بتذكارِهِ ومحبَّتِهِ ، وانْفَعْنا بآثارِهِ وسيرَتِهِ .

● اللهمَّ يا مَنْ جعَلْتَ الأرضَ قراراً ، وفجَّرْتَ خلالَها أنهاراً ، وجعلتَ لنا من الشَّجَرِ الأخضَرِ ناراً ، زيَّنّا بالحِلْمِ ليكونَ لنا دِثاراً ، وأكْرِمْنا بنورِ الفَهْمِ ليكونَ لنا شِعاراً .

● ونشهَدُ أنَّ محمَّداً رسولُهُ الذي ارتَضى ، وحُسامُهُ المُضيءُ المُنْتَضى ، وأمينُهُ الصَّادقُ المُصْطَفى ، الذي ختَمَ به الأنبياءَ ووفى ، فكان الرَّؤوفَ الرَّحيمَ ، والرَّسولَ الحَليمَ ،

ذا الخُلُقِ العظيمِ ، والحَسَبِ الكريم ، والصَّفْحِ الجميلِ ، والحِلْمِ الجليلِ .

وبَعْدُ :

● فإنَّ الحِلْمَ ذِرْوَةُ كلِّ أدَبٍ وفَضْلٍ ، ورحيقُ كلِّ زهرٍ وفُلٍّ ، وهو لُبُّ كلِّ كرمٍ ونَدى ، ترشحُ من أرْدانِهِ قَطَراتُ النَّدى ، فترسمُ للنّاسِ طريقَ النُّورِ والهُدى ، فتجعلُ العبدَ بالحِلْمِ سَيِّداً ، والمملوكَ عالياً وإن كان أمْرَداً .

● ومنذُ أن جاذَبْنَا الآدابَ الإسلاميَّةَ حَبْلَ الودِّ ، وتذَوَّقْنا أطايبَ ثمارِها اليانعَةِ بما ليس لهُ من حدّ ، أحبَبْنا أن نَصوغَ أدبَ الحِلْمِ بكلماتٍ هامساتٍ ، وننظمهُ في عباراتٍ دافئاتٍ دافقاتٍ ، تزيِّنُ حنايا القُلوبِ بجمالِ معانيها ، وتطربُ الألبابَ بسِحْرِ مغانيها ، وظننا بادىءَ الأمرِ أنَّ نَظْمَ الحِلْمِ قريبُ المنالِ ، فإذا بهِ بعيدُ المدى صَعْبُ النَّوال .

● ولمّا كان الأمرُ كذلك انتَضَيْنَا القلمَ لنرسُمَ بالحلْمِ أجملَ الصَّفحاتِ ، ونَنْتَقي من زَهْرِ الرُّبى أنفعَ الآدابِ والصِّفات ، لتكونَ مفعمةً بالبِشْرِ والأُنْسِ ، جميلةَ النَّفْعِ كَسَنا

الشَّمْسِ ، ورُحْنا نجوسُ جداولَ الآدابِ لننعَمَ بأنْداءِ الألْبابِ ، ونُقدِّمَها سائِغَةً هنيَّةً للشُّرَّاب ، فتتغذَّى بها العُقولُ ويحلو بها الكِتاب ، ويكونَ نجعةً للحضورِ والغُيَّاب والأحباب .

● نعم ، أحبابَنا القُرَّاء الأعزَّاء ؛ إنَّ الحلمَ من الموضوعات التي يحسبُ المرءُ أنَّها دانيةُ القُطوفِ ، رقيقةُ الأستارِ والشُّفوفِ ، فإذا ما أرادَ اقتطافَ جنى زَهْرِهِ ورَيْحانِهِ ، وجَدَ المصاعبَ في جَمْعِ أشْكالِهِ وألوانِهِ ، فهو سَهْلٌ للوهلةِ الأُولى ، صعبُ النَّظْمِ منذُ الصَّفْحَةِ الأولى .

● واللهُ وَحْدَهُ يعلمُ كم لاقَيْنا من مشاقَّ وعَثَراتٍ في الطَّريقِ ، لننظُمَ ما تناثَرَ من عقْدِ هذه المادَّةِ في كلِّ فَجٍّ عميق ، وما تباعَدَ منها في بطونِ الأسْفَارِ ، وأعماقِ المصادرِ الكِبارِ ، بالإضافةِ إلى نُدْرَةِ مادَّةِ الحِلْمِ في القرآن الكريم ، والذِّكْرِ الحكيمِ ، لهذا كلّه أحبَبْنا أن يكونَ هذا الموضوعُ سَهْلَ المنالِ غزيرَ النَّفعِ لطيفَ الطَّيفِ والخيالِ .

● ومن خلالِ رحلتِنا الشَّاقَّةِ الشَّائقَةِ في عالَمِ المصادرِ مع الحِلْمِ ، استطَعْنا ـ بفضلِ اللهِ ونِعَمِهِ ـ أنْ ننظُمَ هذا الكتابَ في

سَبْعَةِ أبوابٍ سِمانٍ ، وقَفْنا في أُولاها بين يَدَيْ الحِلْمِ ، وتحدَّثْنا عنهُ في ميزانِ الأخلاقِ ، والأدبِ ، واللُّغَةِ ، ثمَّ عزَّزْنا البابَ الثَّاني بالحديثِ عن الحِلْمِ في ضَوءِ القُرآنِ والسُّنَّةِ ، وأفَضْنا في الحديثِ عن ذلك بما يحتاجُهُ كلُّ مُسلمٍ ، وكلُّ متأدِّبٍ يودُّ الاستزادةَ من هذَيْنِ المصدرَيْنِ الكريمَيْنِ : القرآن والسُّنَّة .

● وفي البابِ الثَّالثِ ؛ أبحَرْنا مع الحِلْمِ في وصايا الصَّحابةِ ، وكُبَراءِ التَّابعين ، وعُلماءِ الأُمَّةِ .

● وحلَّقْنَا عالياً عالياً في البابِ الرَّابعِ مع الحِلمِ ومكارمِ الأخلاقِ ، لما لهُ من صِلاتٍ وثيقةٍ مع السُّؤدُدِ ، وكرَمِ النَّفْسِ ، وشريفِ الخِصالِ ، وكان الحديثُ رائقاً شائقاً ، حيثُ عزَّزْنا ذلك بالحكمةِ الطَّريفةِ ، والطُّرفَةِ اللَّطيفةِ ، والقصَّةِ الخفيفةِ ، لتكونَ مادَّتُنا أليفةً .

● وعَقَدْنا البابَ الخامسَ ليكونَ العمودَ الفِقْريَّ لهذا الكتابِ ، فقد تحدَّثْنا عنِ الحِلْمِ ، وعنِ الغَضَبِ المحمودِ ، ثمَّ عن بواعثِ الحِلْمِ وأسبابِهِ ، وعن علاجِ الغَضَبِ ، وكلُّ ذلك بالدَّلائلِ المفيدةِ ، التي تغرِسُ المحامِدَ في القُلوبِ ،

وتُهذِّبُ النُّفوسَ ، وتصقُلُ الطِّباعَ .

● وفي البابِ السَّادسِ تعَرَّضْنا للحِلْمِ بين المدحِ والذَّمِّ ، وذلك في أقوالِ العربِ وأمثالهم .

● وأمّا البابُ السَّابعُ الخاتَمُ ، فكان عنِ الحِلْمِ في نفحاتِ الأُدباءِ والحُكماءِ ، فقد أورَدْنا بعضَ ما جادَتْ به قرائحُ الشُّعراءِ من لطيفِ الآدابِ ، وما أسفرَتْ عنه أنفاسُ الحُلَماءِ والفلاسفةِ في هذا المِضْمارِ الجميل ، وقَفَّيْنا ذلك كُلَّهُ بنُبْذَةٍ من قصَصِ وأخبارِ حُلَماءِ العربِ في عصورها الخوالي .

● وسيلْحَظُ القارئُ الكريمُ المشقَّةَ التي تجشَّمْناها لنُذلِّلَ له ما صَعُبَ ، كما سيَلْحَظُ كثرةَ المصادرِ وتنوُّعها ، والتي جاء في مقدِّمَتِها : القُرآنُ الكريمُ وعلومه ، وكذلك السُّنَّةُ النَّبويَّةُ ومجالاتُها ، يُضافُ إلى ذلك أُمَّاتُ المصادرِ الأدبيَّةِ ، والتَّاريخيَّةِ ، والجغرافيَّةِ ، والدِّينيَّةِ ، والموسوعات ، ومعاجمُ اللُّغةِ ، وما رافقَ ذلك من دواوينَ عديدةٍ لشُعراءَ من الماضي والحاضر ، وغيرِ ذلك كثيرٌ كثيرٌ ممّا هو منثورٌ في مَتْنِ الكتابِ وحواشيهِ .

● وها نحنُ أولاءِ نقتربُ من خِتامِ هذه المُقدّمةِ ، لنقتربَ من قُلوبِ القُرَّاءِ الأعِزَّاءِ ، ونتركَهُم ينعمونَ في ديباجِ وحُلَلِ هذا الأدبِ الجميلِ المِعْطاءِ ، وينهلونَ من عَذْبِ رضابِهِ الشَّديدِ الصَّفاءِ ، وكُلُّنا أمَلٌ ورجاءٌ أن يخصَّانا بدعواتٍ وضيئاتٍ ، إذ « الدُّعاءُ مُخُّ العبادةِ »[1] ، ونحنُ نطمعُ المزيدَ منهم في هذا المجال بالزِّيادَةِ .

● اللهمَّ اجعَلِ الحِلْمَ لنا الشِّعارَ والدِّثارَ والرَّفيقَ ، وألْهِمْنا شُكرَكَ واجعَلْهُ لنا نِعْمَ الصَّديق .

● اللهمَّ واجعَلِ الحِلْمَ خُلُقاً لنا نُعامِلُ به العِبادَ ، واهدِنا إلى طريقِ الرَّشادِ والسَّدادِ .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٧١) .